

هل تدخل أمريكا مرحلة جديدة من الفوضى السياسية؟

في أمريكا لا تسقط الحكومات بانقلابات عسكرية، ولا تُحسم المعارك بالدبابات في الشوارع، بل تُرسم موازين القوى داخل أروقة الكونغرس الهادئة ظاهرياً والصاخبة سياسياً. وبينما تتجه الأنظار عادةً نحو البيت الأبيض وساكنه، تبقى الحقيقة الأكثر أهمية أن مجلس الشيوخ يمثل أحد أكثر المؤسسات تأثيراً في صناعة القرار الأمريكي؛ فهو قادر على تمكين الرؤساء من تنفيذ مشاريعهم أو إعاقتهما ودفنها سياسياً إلى أجل غير مسمى.

لذلك، فإن خسارة الجمهوريين للأغلبية في مجلس الشيوخ - إن حدثت - لا تعني مجرد تبدل لون المقاعد بين الأحمر والأزرق، بل قد تمثل زلزالاً سياسياً تتردد ارتداداته من أروقة السلطة في واشنطن إلى العواصم الأوروبية، ومن جبهات أوكرانيا إلى مياه بحر الصين الجنوبي، مروراً بملفات الشرق الأوسط المعقدة والمشتعلة في آن واحد.

فماذا سيحدث إذا انتزع الديمقراطيون الأغلبية؟ وإلى أي مدى يمكن أن يتغير وجه أمريكا نفسها؟ وهل ستدخل مرحلة جديدة من الاستقرار السياسي، أم أنها ستغرق في صراع مؤسسي مفتوح يجعل السنوات المقبلة أكثر اضطراباً من أي وقت مضى؟

في عالم تتداخل فيه السياسة الداخلية الأمريكية مع مصير الاقتصاد العالمي والأمن الدولي، قد يكون أي تغيير في ميزان القوى داخل مجلس الشيوخ بداية فصل جديد من الصراع على مستقبل أمريكا ودورها في قيادة النظام الدولي.

أهمية مجلس الشيوخ في معادلة السلطة

لا يتحدد النفوذ السياسي في الولايات المتحدة بمن يجلس في البيت الأبيض فحسب، بل أيضاً بمن يسيطر على الكونغرس، وتحديدًا مجلس الشيوخ الذي يُعد أحد أقوى المؤسسات السياسية في العالم. ومن هنا، فإن خسارة الجمهوريين للأغلبية وانتقالها إلى الديمقراطيين لن يكون مجرد تغيير رقمي، بل تحولاً سياسياً قد يعيد رسم ملامح السياسة الأمريكية الداخلية والخارجية لسنوات قادمة.

و يمتلك مجلس الشيوخ صلاحيات استثنائية تشمل المصادقة على تعيين الوزراء والقضاة والسفراء، والموافقة على الاتفاقيات الدولية، إضافة إلى دوره المحوري في التشريع والرقابة على السلطة التنفيذية. ولذلك فإن فقدان الأغلبية يعني عملياً فقدان القدرة على التحكم الكامل بأجندة الدولة.

وفي حال أصبحت الأغلبية بيد الديمقراطيين، فمن المرجح أن تشهد واشنطن صراعاً سياسياً أكثر حدة، خصوصاً في ظل وجود الرئيس ترامب. وقد يتحول مجلس الشيوخ حينها إلى جدار سياسي قادر على تعطيل عدد كبير من مشروعات الإدارة الجمهورية المقبلة.

احتمالات الشلل المؤسسي

أحد أكثر السيناريوهات ترجيحاً يتمثل في دخول أمريكا مرحلة من الشلل المؤسسي. فالديمقراطيون سيملكون القدرة على تعطيل أو تأخير تعيينات الإدارة الجمهورية، وعرقلة مشاريع القوانين المتعلقة بالضرائب والهجرة والطاقة والأمن وغيرها من الملفات الحيوية.

وفي هذه الحالة، قد تتحول المعركة السياسية داخل الكونغرس إلى مواجهة مفتوحة تنعكس على الأسواق المالية وثقة المستثمرين، خاصة إذا ارتبطت بأزمات الموازنة العامة أو سقف الدين الفيدرالي، وهي ملفات لطالما شكلت مصدر توتر داخل النظام السياسي الأمريكي.

المعركة القضائية طويلة الأمد

قد يشهد الملف القضائي تحولات جوهرية، إذ يدرك الحزبان أن القضاء الأمريكي يمثل معركة استراتيجية طويلة المدى. وإذا سيطر الديمقراطيون على مجلس الشيوخ، فسيملكون نفوذاً واسعاً على مسار التعيينات القضائية.

وهذا قد يعني الحد من تعيين قضاة محافظين جدد، أو الدفع باتجاه شخصيات أقرب إلى التوجهات الليبرالية، الأمر الذي قد يؤثر في طبيعة الأحكام المتعلقة بالإجهاض والهجرة والبيئة والحريات المدنية لعقود مقبلة.

أما ما إذا كان ذلك تطوراً إيجابياً أم سلبياً، فالأمر يعتمد على الزاوية السياسية التي يُنظر منها إلى المشهد. فأنصار الديمقراطيين يرون في ذلك فرصة لتعزيز برامج الرعاية الصحية والاستثمار في البنية التحتية والطاقة النظيفة، وتخفيف حدة السياسات المحافظة في ملفات الهجرة والحقوق المجتمعية.

في المقابل، يرى الجمهوريون أن مثل هذا التحول قد يؤدي إلى زيادة الإنفاق الحكومي، وارتفاع الضرائب، وتوسيع دور الدولة في الاقتصاد، وهو ما يعتبرونه تهديداً للنمو الاقتصادي والقيم المحافظة التقليدية.

لذلك، فإن وصف هذا التحول بأنه أفضل أو أسوأ يبقى مسألة مبدئية وسياسية أكثر من كونه حقيقة مطلقة.

انعكاسات محتملة على السياسة الخارجية

قد تكون السياسة الخارجية المجال الأكثر تأثراً بأي تغيير في تركيبة مجلس الشيوخ، خصوصاً أن إدارة ترامب ستسعى إلى حسم أو إعادة تشكيل عدد من الملفات الدولية الكبرى:

أوكرانيا وروسيا: من المرجح أن يدفع الديمقراطيون نحو استمرار الدعم العسكري والمالي لأوكرانيا في مواجهة روسيا، في حين يبرز داخل الحزب الجمهوري تيار يدعو إلى تقليص هذا الدعم والتركيز على التحديات الداخلية المتزايدة.

الصين: رغم وجود إجماع أمريكي واسع على ضرورة مواجهة النفوذ الصيني، فإن الديمقراطيين يميلون إلى توظيف التحالفات الدولية وأدوات الضغط الاقتصادي والدبلوماسي، بينما يفضل العديد من الجمهوريين نهجاً أكثر مباشرة في المواجهة التجارية والاستراتيجية مع بكين.

الشرق الأوسط: قد تعود ملفات حقوق الإنسان والدبلوماسية التقليدية إلى الواجهة كأدوات ضغط رئيسية، كما قد يزداد التركيز على الحلول السياسية للنزاعات الإقليمية بدل الاعتماد المفرط على أدوات القوة العسكرية.

حلف الناتو وأوروبا: من المرجح أن تعزز الأغلبية الديمقراطية التعاون مع الحلفاء الأوروبيين ودعم المؤسسات الدولية، في حين يفضل بعض الجمهوريين تقليص الأعباء الأمريكية داخل الحلف، ودفع الدول الأوروبية لتحمل مسؤوليات أكبر في مجال الأمن والدفاع.

قراءة في المشهد الانتخابي

وفقاً للمعطيات السياسية الراهنة، تبدو فرص الديمقراطيين في تحقيق مكاسب انتخابية خلال الاستحقاقات المقبلة مرتفعة نسبياً مقارنة بالجمهوريين. وقد يدفع ذلك ترامب إلى محاولة تسريع معالجة عدد من الملفات الداخلية والخارجية بما يخدم رؤيته السياسية ويعزز فرص حزبه في الحفاظ على نفوذه داخل مجلس الشيوخ.

غير أن هذه التحركات نفسها قد تسهم في تعميق الانقسام السياسي الداخلي، وزيادة حدة الاستقطاب الذي تشهده أمريكا منذ سنوات.

المؤكد أن انتقال الأغلبية في مجلس الشيوخ لن يكون حدثاً عادياً في الحياة السياسية الأمريكية، بل تحولاً قادراً على إعادة رسم توازنات القوة داخل واشنطن، والتأثير في ملفات تمتد من أوكرانيا والصين إلى الشرق الأوسط والاقتصاد العالمي.

العالم اليوم يتغير بوتيرة متسارعة، وتشير العديد من المؤشرات إلى أن النظام الدولي يمر بمرحلة إعادة تشكيل تاريخية. وقد تكون التطورات السياسية داخل أمريكا جزءاً من هذه التحولات الكبرى، بما تحمله من مؤشرات على نهاية مرحلة وبداية أخرى.

فيا أيها المسلمون حول العالم إننا على أعتاب فرصة ذهبية للعمل على جعل مبدئنا الإسلامي يظهر بظهور دولة الخلافة الراشدة التي وعدنا بها، فشمروا عن سواعدكم وكونوا عوناً للعاملين على استئناف الحياة الإسلامية لنعيد عزنا وقوتنا وهيبتنا التي فقدناها عندما تخلينا عن قضايانا الأساسية وعلى رأسها رأس الهرم الخليفة الذي سيحكم يشرع الله وينقذ الأمة والعالم من ظلم الرأسمالية.

قال تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾.

كتبه للمكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير

نبيل عبد الكريم